

ومعرفتها لداخلهم . لم يكونوا يفارقونها بدون أن يحصلوا على فرح وتعزية يفوق ما كانوا يرغبون فيه . وكانوا دوماً مذهولين في أن يجدوا فيها لطفاً هادئاً ومتواضعاً جداً ، مقروناً بكثير من الهيبة والوقار . ولم يكونوا يعرفون كيف يعيرون عن عرفانهم للجميل وإعجابهم .

كانت ذو رزانة وحكمة فريدتين بمعاملتها مع الذين يتبعون المخلص ، وكأفضل الأمهات كانت تستيق حاجاتهم ، وفي حال عدم حصولها على الضروريات كانت ترجو ملائكتها الحراس ليحضروها لهم .

وكان عندها لفظة خاصة نحو النسوة القديسات اللواتي كن يرافقتها تلطفاً منهن ، ويسوع المسيح تنازل وتقبل المساعدة من خيرتهن . والعذراء تقودهن إلى عطاته وتعطينهن موضوع الحديث ، هذا علاوة عن ممارسة غيرتها نحو النساء الباقيات ، اللواتي كانت تقود عدداً كبيراً منهن إلى طريق الخلاص وتضيف على أنوار تعاليمها وقوة أمثالها . بالأخص فضيلة الرحمة ، فتساعد الفقراء وتعزي الحزانى والمرضى وتضمد جراحاتهم بنفسها . وبين هؤلاء النسوة جميعاً كانت القديسة مريم المجالية عزيزة جداً لديها ، لان رحمة الرب لمعت فيها بمجد وكشفت لها عن أسرار عالية ، كانت تزيد من حبها لمخلصها الإلهي . وكانت تحبذ عزمها إلى الذهاب إلى الوحدة لأفعال التوبة ، بعد أن نالت بركتها . ونعمت مرة بزيارتها وغالباً بزيارة ملائكتها الذين كانوا يأتون لتشجيعها وتقويتها في خلوتها المخيفة .

وكان الرسل بالأخص

بالنور ؟ فما أن ظهر أمامه حتى تكسرت السلاسل وشفيت جراحه . فسجد على أقدام يسوع ومريم وطلب بركتهما .

– يا يوحنا خادمي المحبوب جداً ! قال له المخلص . من دبر أن تكون سابقاً لمعلمك ؟ هكذا يريد أبي أن يجازي غيرتك . قدم عنقك للسيف لأنك سعيد أن تتألم وتموت من اجل اسمي . إنني أقدم موتك لأبي بانتظار موتي . وفي غمرة من العذوبة بقي يوحنا بعض الوقت بدون كلام . وما أن استطاع الكلام حتى عبّر للسيد عن عرفانه للجميل من اجل زيارته ، وطلب منه النعمة ليستطيع تحمل أطول العذابات من اجل مجده . وشكر أيضاً العذراء الكلية القداسة بحرارة لطيفة . وفيما هو يتكلم حضر ثلاثة خدام وجلاذ لينفذوا فيه أمر هيرودس البربري . فقدم يوحنا عنقه وتقبل يسوع المسيح بين ذراعيه جسد الشهيد . والعذراء مريم الكلية القداسة تقبلت بيديها رأسه . وقدمتا كليهما للآب الأزلي هذه الذبيحة العظيمة بينما ذهبت نفسه مصحوبة بجمهور من الملائكة حاملة إلى الينبوس فرحاً عجباً وعاد يسوع ومريم إلى المكان الذي كانا فيه من قبل .

وبينما كان متابعاً تبشيريه ، لم يكف سيدنا من الإيحاء إلى جميع التلاميذ بتعبّد فريد نحو أمه بقدر الرسالة التي كان يحضرهم من اجلها . وكانت أحاديثهم المقدسة عن ملكتهم ، تزيد من احترامهم نحوها وحبهم لها . فكانوا يسرعون إليها أثناء شكوكهم وتجاربهم .

كانت تحبهم جميعاً وتصلي من اجلهم جميعاً بقدر من الإدراك يتناسب